أسبابُ العلاقةِ الترابطيةِ بينَ القرآنِ الكريم والسنةِ الشريفةِ، وأبرز ثمراتها

م.د. رحيم علوان عبد شاهر الابراهيمي
كلية الفقه / جامعة الكوفة

Reasons for the interconnected relationship between the Holy Qur'an and the Noble Sunnah, and its most prominent fruits

Asst.Dr. Rahim Alwan Abdel Shaher Al-Ibrahimi
College of Jurisprudence/University of Kufa
Email: raheema.alibraheemi@uokufa.edu.iq

ملخص البحث

العلاقة الترابطية بين القرآن والسنة فيها فوائد وأسباب، تأتي الأسباب التي اقتضت الحكمة لكي يكون الكتاب والسنة معًا في مأمن ؛ ولحفظ الدين من أن يتلاعب به أصحاب البدع الاهواء، ولصيانة العلاقة بين المؤمنين والقرآن والسنة، ثم تأتي ثمرات العلاقة لتوفير البيان للأحكام الاجمالية ، وتأكيد التفصيلية منها، واطلاق المقيد، وتقييد المطلق، وفك شفرة المتشابهات بالبيان الفصل، وغير ذلك من فوائد وثمرات تنضجها تلكم العلاقة الترابطية التي تكونت نتيجة التمسك بالثقلين معًا لضمان عدم زيغ الامة وضلالها وانحرافها، وتحقيق السعادة الابدية في الدنيا، والآخرة.

الكلمات المفتاحية: أسباب، العلاقة الترابطية، القرآن الكريم، السنة الشريفة، الثمرات.

Abstract

The interdependent relationship between the Qur'an and the Sunnah has benefits and reasons. The reasons come that necessitated wisdom to be so that the Book and the Sunnah are safe together, and to protect the religion from being tampered with by whims and fanatics, and to maintain the relationship between believers and the Qur'an and Sunnah. Detailed ones, the release of the restricted, the restriction of the absolute, the decoding of the ambiguities with the decisive statement, and other benefits and fruits ripened by that interdependent relationship that was formed as a result of adhering to the two weights together to ensure that the nation does not deviate, misguidance and deviation, and achieve eternal happiness in this world and the Hereafter.

Keywords: causes, correlation, the Holy Quran, the noble Sunnah, fruits.

تمهيد

لعدم التكرار الذي دأب عليه الباحثون، ولغرض الايجاز، وتلافيًا للأطناب الممل نستثني عن بيان معاني المفردات المفتاحية، ولأجل بيان العلاقة الترابطية بين الثقلين، لابد من تقسم البحث على مبحثين، وكما يلي:

المبحث الاول: أسباب العلاقة الترابطية بين القرآن الكريم والسنة الشريفة.

هناك أسباب متعددة للعلاقة الترابطية بين القرآن والسنة، تعدّ بمثابة العلل لوجود هذه العلاقة المتينة، وسوف يتم بيان تلك العلل والأسباب، وكما يلي:

١-التعريف بالتوحيد، وعبادة الله الواحد: وهو من أسباب بعثة الأنبياء وأول مهامهم جميعا، ومهمة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام الأثنية، وبيان ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[١] فالذي أمر الرسل بالتبشير به هو تمام الدين والاعتقاد الحق بالتوحيد، وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٢] وفي الآية حجة على ثلاث فرق هي:[٣]

الأول: على المجبرة في الإرادة ؛ لأنّها تدل على أنّه تعالى أراد من جميع المكلفين أن يعلموا فقد قال تعالى: ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وهم يزعمون أن أراد من النصارى ان يثلثوا، ومن الزنادقة ان يقولوا بالتثنية.

الثاني: حجة عليهم في أنّ المعصية لم يردها؛ لأنّه إذا أراد منهم أن يعلموا أنّه إله واحد، لم يرد خلافه من التثليث والتثنية الذي هو الكفر.

الثالث: حجة على أصحاب المعارف؛ كونه بيّن أنّه أراد من الخلق أن يتذكروا، ويفكروا في دلائل القرآن التي تدلهم على أنّه إله واحد ، ثم أخبر تعالى أنّه:

(١) سورة الأنبياء/ ٢٥.
(٢) سورة إبراهيم/ ٥٢.
(٣) ينظر: التبيان، الطوسي، ٦/ ٣٠٧.

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1] اي ذوي العقول؛ لأنّ من لاعقل له لا يمكنه الذكر والاعتبار ومعرفة التوحيد.

٢- الرجوع عند الاختلاف: وبيان ذلك عبر قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2] "فمعنى الردّ إلى الله هو إلى كتابه ، والردّ إلى رسوله هو الرد إلى سنته، وقول مجاهد، وقتادة، وميمون بن مهران، والسدي: والردّ إلى الائمة يجري مجرى الردّ إلى الله والرسول ﷺ"[3]؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[4]

٣- الحكم بالعدل لكونه السائس العام: فالعدل يرفع الظلم والجور ، ويمنع الفجار والفساق وغيرهم في الفساد في البلاد ، والتنكيل بالعباد فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾[5] "ظاهر الحكم بين الناس هو القضاء بينهم في مخاصماتهم و منازعاتهم مما يرجع إلى الأمور القضائية و رفع الاختلافات بالحكم، و قد جعل الله تعالى الحكم بين الناس غاية لإنزال الكتاب"[6]، ومضمون الآية على ما يعطيه السياق أنّ الله أنزل إليك الكتاب و علمك أحكامه ، و شرائعه و حكمه لتضيف إليها ما أوجد لك من الرأي و عرفك من الحكم فتحكم بين الناس، و ترفع بذلك اختلافاتهم[7]، ويتبين عن طريق ذلك أنّ الحكم بالعدل لا يتم إلّا من نص القرآن، وبيان راي الرسول ﷺ.

(١) سورة إبراهيم/ ٥٢.
(٢) سورة النساء/ ٥٩.
(٣) التبيان، الطوسي، ٣/ ٢٣٥.
(٤) سورة النساء/ ٨٣.
(٥) سورة النساء/ ١٠٥.
(٦) الميزان، الطبطبائي ، ٥/ ٤٠.
(٧) ينظر: المصدر.نفسه

٤-الاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين واظهاره: ولقد وعد الله بذلك ليكون الترابط بين دعوة الأنبياء والرسل ، والأوصياء والأولياءﷺ والوحي المنزل اليهم وشيجًا والتلازم واضحًا ، فقد قال الله تعالى في محكم آياته: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾[٣]، فالوعد بخلافة الأرض والتمكين وإظهار الدين لا يتحقق شيء منها بدون كتاب منزل، ووجود شريعة سماوية لاستتباب الامن الاجتماعي، وتحقيق العدالة في جميع مجالات الحياة، ووجود أنبياء وأولياء وقادة يطبقون أوامر الوحي وشريعة السماء.

٥- استمرار الهداية: فإنّ من الأسباب المهمة للعلاقة بين القرآن والسنة هو استمرار الهداية وتكاملها بالثقلين فقد قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤] بتنزيل الآية على ظاهرها من إلقاء كلمة الروح المعلمة الهادية إلى النبيﷺ و نظيره قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٥] أنّ المراد به تسديد روح القدس الإمام بفعل الخيرات و عبادة الله سبحانه.[٦]

(١) سورة النور/ ٥٥.
(٢) سورة التوبة/ ٣٣، الصف/ ٩.
(٣) الفتح/ ٢٨.
(٤) سورة الشورى: ٥٢.
(٥) سورة الأنبياء/ ٧٣.
(٦) الميزان، ٥/ ٤٥.

٦- إزالة الغفلة بالإخراج من الظلمات الى النور: فقد قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١] وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٢] "إخراجه إياهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ليخرج بذلك عن الاستقلال في السببية فإن السبب الحقيقي لذلك هو الله سبحانه."[٣]

٧- التذكير بالمعاد: فمن الأسباب المهمة لأثنية القرآن والسنة هو التذكير بالمعاد عبر القرآن بالتبشير للمؤمنين والانذار لغيرهم، وعبر الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بالوعظ والتذكير والارشاد فقد تحدثت كثير من الآيات القرآنية عن يوم القيامة التي وعد الله المؤمنين بالجنة والرحمة والرضوان والنعيم، والكافرين والمشركين والمنافقين بالنار والعذاب الأليم ومنها قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[٤]، وقوله تعالى ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ... ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[٨]، وكذلك ممّا روي عن رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم، وإليه يكون معادكم، وبه نجاح طلبتكم، وإليه منتهى رغبتكم، ونحوه قصد سبيلكم)[٩]،

(١) البقرة/ ٢٥٧.
(٢) سورة إبراهيم/ ١.
(٣) الميزان، ٥/ ١٤٣.
(٤) سورة النساء/ ٨٧.
(٥) سورة الانعام/ ١٢.
(٦) سورة الاسراء/ ١٣.
(٧) سورة مريم/ ٩٥.
(٨) سورة المؤمنون/ ١٦.
(٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.

فالعلاج الناجح لإصلاح البشرية وتثبيتهم على الاستقامة هو التذكير بالمعاد، ولا يتم ذلك إلّا عن طريق تبليغ الوحي، وبيان حجية الرسالة والتذكير بوجود معاد وحساب وقيامة، وثواب وعقاب، ومسؤولية التبليغ والتذكير تتم عن طريق تراجمة الوحي من الأنبياء والرسل عليهم السلام وأوصيائهم الصالحين.

٨- ترسيخ العدالة الاجتماعية، وتهيئة الأرضية للتقوى: فتهيئة أرضية التقوى، وترسيخ العدالة الاجتماعية سبب رئيسي من أسباب الترابط بين القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أيها الناس، إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلّا بالتقوى[٢]، وروي " أنّ سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه إجلالا لحقه، وإعظاما لشيبته، واختصاصه بالمصطفى وآله، فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب ؟ فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فخطب فقال: (إن الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الاسود إلا بالتقوى سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت..) "[٣]

المبحث الثاني: أبرز ثمرات العلاقة الترابطية بين القرآن الكريم، والسنة الشريفة:

توجد هناك كثير من الثمرات التي تكونت من العلاقة الترابطية بين القرآن والكريم والسنة الشريفة من أهمها ما يلي:

١- توضيح وتأكيد المعاني الظاهرية، وبيان المجمل عن طريق قول وفعل

(١) سورة الحجرات/ ١٣.
(٢) معراج اليقين في أصول الدين، السبزواري، محمد بن محمد من أعلام القرن السابع الهجري، تحقيق: علاء آل جعفر، ص٥١٦.
(٣) بحار الانوار، المجلسي، ٢/ ٣٤٨.

وتقرير المعصوم عليه السلام: وبدون هذه الثمرة، أو الفائدة لا يمكن معرفة عدد الركعات في كل صلاة مما لم يرد فيها نص قرآني، بل هناك إشارات اجمالية، بوجوب الصلاة، واقامتها، وبيان مواقيتها فقط.

" فالصلاة والزكاة والصوم والحجّ أُمور توقيفيّة لا تُعْلم إلاّ من قبل الرسولt، فهو المبيِّن لحقائقها، وشروطها وموانعها، لا تُعْلم إلاّ من قبل الرسول صلى الله عليه وآله فقد قال: (صلّوا كما رأيتموني أُصلّي)[1]، وبذلك رفع الإجمال عن ماهية الصلاة المأمور بها، ومثلها باب الزكاة والحجّ وغيرها من أبواب الفقه "[2].

٢- تمييز المحكم من المتشابه، والخاص من العام، والمطلق من المقيد: ومن خلال ذلك يتم تجب التفسير بالرأي والخوض في معاني القرآن بلا علم، فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[3]

٣- وجود القدوة الحسنة: ويتم ذلك من المفاهيم القرآنية التي تنطبق وتجري على المصاديق الحقيقية، والمتمثلة بالمثل الأعلى من الاولياء، بحسب الترتيب المقامي، والمقام المعنوي والذي يتضح من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[4]

٤- وجود الحجة في التفسير والتأويل وغيره: وهي من أسس الروابط بين القرآن والسنة، فقد قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

(١) بحارالأنوار، ٧٩/ ٣٢٥.
(٢) الحديث النبوي بين الرواية والدراية، السبحاني، جعفر، ١٠.
(٣) سورة آل عمران/ ٧.
(٤) سورة المائدة/ ٥٥، ٥٦.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2]

٥- بيان حلال الله من حرامه: قال تعالى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم[3] حيث أنّ الناس من أجل وصولهم الى الكمال لابد لهم أن يعرفوا حلال الله من حرامه، وينظموا سلوكهم على أساس ذلك ؛ لأنّ جميع الناس لا يتمكنون من أن يتلقوا أحكام الله من الله مباشرة[4]، فجعل الله الأنبياء عليهم السلام ؛ ليبينوا حلال الله من حرامه كوظيفة رئيسية من وظائف النبوة.

٦- اتباع النور والهداية الإلهية، والابتعاد عن الخلاف والاختلاف والزيغ والانحراف، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5] ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[6]

٧- الالتزام بأثنية القرآن والسنة: إنّ لأثنية القرآن والسنة من الثمرات والفوائد التي يحتكم اليها الخصماء والمتخالفين، والمختلفين على النصوص الموضوعة والموهومة والمكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام في العرض على الثقلين، بما يوافق، وبما لا يوافق، على ما أوصى الرسول صلى الله عليه وآله به ، وكذلك أهل بيت العصمة عليهم السلام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: (قد كثرت علي الكذابة وستكثر

(١) سورة النحل: ٤٤.
(٢) سورة آل عمران/ ٧.
(٣) سورة الانعام/ ١٥١.
(٤) جامعية القرآن الكريم، كريمي، مصطفى، ١٦٤.
(٥) سورة الأعراف/ ١٥٧.
(٦) سورة سبأ/ ٦.

فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به[١]، و "روي عن النبي ﷺ وعن الائمة عليهم السلام أنهم قالوا: إذا جاء كم منا حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاطرحوه أو ردوه علينا."[٢]

٧- تعليم الناس مالم يتمكنوا من علمه بأنفسهم: قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] الى العلوم التي لا يمكن الوصول اليها بالأمور العادية.[٤]

٨- تزكية المؤمنين وتعليمهم الكتاب والحكمة، فقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٥]، إنّ "تخصيص المؤمنين بالذكر في هذه الآية في حين أنّ الهدف من بعثة النبي ﷺ هو هداية عموم البشر؛ فلأن المؤمنين هم الذين سيستفيدون بالنتيجة والمآل من هذه النعمة العظمى فهم الذين يستأثرون بآثارها عملًا دون غيرهم"[٦]، ثمّ إنّ الله سبحانه يقول واصفًا مهمات هذا النبي العظيم ﷺ يقوم بثلاثة أُمور:[٧]

الأول: تلاوة آيات الله على مسامعهم، وإيقافهم على هذه الآيات والكلمات الإلهية.

الثاني: تعليمهم بمعنى إدخال هذه الحقائق في أعماق ضمائرهم وقلوبهم.

الثالث: تزكية نفوسهم، وتنمية قابلياتهم الخلقية، ومواهبهم الإنسانية.

(١) بحار الانوار، ٢/ ٢٢٥.
(٢) التهذيب، الطوسي، محمد بن الحسن، ٤/ ٢٧٥.
(٣) سورة البقرة/ ١٥١.
(٤) التبيان، ٢/ ٢٩، مجمع البيان، الطبرسي / ٢٣٣.
(٥) سورة آل عمران/ ١٦٤.
(٦) الأمثل، الشيرازي، ناصر مكارم ، ٢/ ٧٦٥.
(٧) ينظر: المصدر نفسه.

وإنّ من أبرز الثمرات والفوائد التي بينتها الآية نتيجة وجود الرسول ﷺ هو تعليم الكتاب والحكمة بسبب العلاقة الرابطة بينهما، والظاهر ان للحكمة معنين هما:[1]

الأول: التعقل والقدرة على تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر.

الثاني: مجموعة المعارف والقوانين التي توفر الأرضية لرقي الانسان وسعادته.

وأمّا تعليم الكتاب والحكمة، "فالمراد بالحكمة سائر المعارف الإلهية النازلة بالوحي، النافعة للدنيا و الآخرة، وبذلك يظهر ما في كلمات بعض المفسرين في تفسير الآية، فقد فسّر بعضهم الكتاب بالقرآن، و الحكمة بما فيه من الأحكام، و "ما لم تكن تعلم" بالأحكام و الغيب ، و فسّر بعضهم الكتاب و الحكمة بالقرآن و السنة"[2]، وبذلك يتضح من استمرار نور الهداية، بخلود القرآن، ووجود المعصوم عليه السلام.

٩- بيان مفاهيم وتطبيقات التولي والتبري: وهي من أبرز ثمرات المفاهيم القرآنية المرتبطة ارتباطا وثيقًا بسنه الله ورسوله ﷺ، وأهل البيت عليهم السلام، فنجد أنّ القرآن يحدد المفهوم العام للبراء مثلما حدد مفهوم الولاية، وتأتي السنة الشريفة للتبين المصداق الحقيقي لها ، وتأمر المسلمين بوجوب تطبيقه والالتزام به، فقد قال الله تعالى في الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3]، وقال تعالى في البراءة: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]،

(١) ينظر: جامعية القرآن، ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) سورة المائدة/ ٥٥.
(٤) سورة التوبة/ ٣.

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] ويأتي الرسول ﷺ ليحدد المصداق الحقيقي للولاية التي تجب مولاته، والتبري من أعدائه في بيعة غدير خم حيث قال: (يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمر من نبي إلّا نصف عمر الذي يليه ممن قبله ، وإني لأ ظنني أوشك أن أدعى فأجيب وإنّي مسئول وإنّكم مسئولون، فهل بلغتكم، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد بأنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله عنا خيرا، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألم تشهدوا أن لا إله إلا الله و أنّ محمدا عبده ورسوله، وأنّ الجنة حق، وأنّ النار حق، وأنّ البعث حق من بعد الموت ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد " ثم قال: يا أيها الناس إنّ الله مولاي، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه. وعاد من عاداه ، ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون على الحوض، وحوضي عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، ألا وإنّي سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتى تلقوني، قالوا: وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف في أيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تذلوا، ألا وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لا يتفرقا حتى يلقياني وسألت الله لهما ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم)[2]

النتيجة

من البحث تم استخلاص ما يلي:

اولًا: وجود أسباب وعلل للعلاقة بين القرآن والسنة التي من أجلها خلق الله الانسان وأرسل الرسل وانزل الكتب، ومعلوم إنّ الكتب السماوية المتضمنة للشريعة الالهية لابد لها من مبلغ ومبين، وهذا المبلغ والمبين لابد أن تربطه علاقة معنوية مع

(١) سورة الشعراء/ ٢١٦.
(٢) بحار الانوار، ٢٣/ ١٤١.

الكتب السماوية ؛ حتى يتمكن من إيضاح ظواهر الكتاب وإظهار البواطن، ولابد له أن يتلقى العلم والمعرفة بخفايا الكتاب من مضانه الرئيسية، وهي بمثابة المصادر الأساسية لعلمه، والتي هي بالأساس ثلاثة مصادر هي:

المصدر الأول: الوحي.

المصدر الثاني: العلم اللدني.

المصدر الثالث: الالهام.

فالوحي المصدر الأساسي لجميع الرسل والأنبياء لتلقي الكتب والشرائع والتعاليم الإلهية بصورة مباشرة، أو من وراء حجاب، أو بوساطة ملك مرسل، والعلم اللدني هو هبة الهية لمن خصهم بالعلم الحضوري اللدني، وأمّا الالهام وهو بمثابة التلقي السريع والقاء العلم في الروع حين الحاجة اليه من قبل الأولياء والأوصياء والصالحين.

ثانيًا: وجود ثمرات للعلاقة بين القرآن والسنة، وهي بمثابة الفوائد التي يحصل المتلقي والمستهدف من تبليغ الكتب السماوية، وهي ثمرات مادية ومعنوية عن طريق إيصال المفاهيم وبيان السنن الإلهية، وعبر الوعود بنتائج الطاعة، والتحذير من عواقب المعصية.

ثالثًا: للعلاقة بين القرآن والسنة دور كبير في زياد المساحة المعنوية والمعرفية للقرآن الكريم، من حيث بيان معاني المفردات والتراكيب القرآنية وبيان مداليلها، وكذلك إيضاح وشرح المجمل، والتأسيس لمعاني إضافية، وكذلك للحث على التدبر والتفكر، وتهيئة الأرضية المناسبة لبقاء وخلود القرآن ، واستمرار وديمومة معارفه واتساع معانيه، وتطبيقاته المتجددة، والملائمة لكل زمان ومكان.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ناصر مكارم ، تحقّق مهدي الأنصاري، قسم التّرجمة والنّشر لمدرسة الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، قم ، ايران.

٣. بحار الانوار ، المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٤. التبيان ، الطوسي، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، تحقيق احمد حبيب القصير، مكتب الاعلام الإسلامي ط:١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٢٠٩هـ.

٥. التهذيب: الطوسي، الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ)، مطبعة خورشيد، ط:٤، طهران، ١٤٠٦هـ.

٦. جامعية القرآن ، مصطفى كريمي، بدون بطاقة مصدر.

٧. الحديث النبوي بين الرواية والدراية السبحاني، جعفر، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم – ايـر ان.

٨. مكارم الاخلاق، الطبرسي، رضي الدين أبي نصر الفضل بن الحسن ، ط: ٦، ١٩٧٢م.

٩. مجمع البيان ، الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن(ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان، دار المرتضى، بيروت– لبنان، ٢٠٠٦م.

١٠. معراج اليقين في أصول الدين، تحقيق: علاء آل جعفر÷السبزواري، محمد بن محمد من أعلام القرن السابع الهجري.

١١. الميـزان في تفسـير القـرآن ، الطباطبائـي محمـد حسـين، مؤسسـة الأعلمـي، بـيروت- لبنـان.

١٢. نهج البلاغة، الرضي، الشريف محمد بن الحسين(ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق ، قيس بهجت العطار، نشر مكتبة نور، ٢٠١٩م.